إنسانية العمارة العربية الإسلامية

العمارة بين متطلبات الحاجة ومثالية التنظير

م.د. عبد الله سعدون سلمان المعموري
الجامعة التكنولوجية / قسم الهندسة المعمارية

ملخص البحث

تعد العمارة محتوى فعاليات الإنسان، ومن أهم مصنعاته عبر التاريخ بكل ما تتضمنه بنيتها من العناصر الشكلية والعلاقات التي تربط بينها والقواعد التنظيمية التي تحكمها في التنظيم الفضائي وانماط الحركة والتكوينات الشكلية التي تجسد حياة ساكنيها ومراعاة القواعد الهندسية واستثمار عناصر الموقع بهدف ايجاد بنية معمارية تؤنسن ما حولها من عناصر البيئة الطبيعية لتحقيق المتطلبات الأساسية، فالعمارة إمتداد مكاني-زماني يستوعب البعد الانساني المتكامل ويمتلك قدرا من الثبات النسبي لمكوناته المادية كونها خاضعة للقيم والأعراف والمعتقدات .

تعاني البيئة المعمارية المعاصرة من الفصل الواضح بين منظومة القيم الإنسانية والنتاج المعماري، **يهدف البحث** الى :" دراسة متطلبات الحاجة الاساسية التي يُفترض توفرها في العمارة للوصول الى عمارة انسانية تستلهم الموروث المعماري العربي الإسلامي، لتحقيق بيئة معمارية متكاملة ومحافظة على الهوية والخصوصية"، وتبعا لذلك فقد تجسدت **مشكلة البحث** في :" فقدان البيئة المعمارية المعاصرة إنسانيتها وهويتها وعجزها عن تحقيق التكامل بين النتاج المعماري ومتطلبات الحاجة "، وبذلك سلط البحث الضوء على المتطلبات الاساسية والخصوصية المرتبطة بإنسنة النتاج المعماري التي تتجلى بوضوح في خصائص العمارة العربية الاسلامية ، والتي تؤكد على دور المعماري في أنسنة عناصر الطبيعية لتلبية الحاجات الاساسية بعيداً عن مثالية التنظير، وصولاً الى الاستنتاجات النهائية والتوصيات .

HUMANIZATION OF ARABIC ISLAMIC ARCHITECTURE

Architecture between needs requirement & ideal theorization

Abstract

Architecture is the content of human events, it is the most important products through history with all its structure of the formal elements, relations between them and the regulations governing the organization of space and movement patterns and formations that form the lives of their inhabitants to achieve the highest performance of the material without displacing the local building techniques and modern engineering into account the rules and the investment component of the site in order to find the structure of architectural humanism the surrounding elements of the natural environment to achieve the requirements basic, so the architecture is the spatial - temporal extension to accommodate the integrated human concept and has an amount of the relative stability of its components being subject to the values, conventions and beliefs.

The environment of contemporary architecture Suffered from a clear separation between human values system and product architecture, the **research's aim**, which is :" study the requirements of the basic need which is supposed to be available in the to access the humanization architecture inspired by the Arab-Islamic architectural heritage, to achieve the integrated architectural environment and maintain an identity and privacy", Accordingly, the **research's problem** was reflected in : "The environment of contemporary architecture losses the humanity, identity and their inability to achieve integration between the product architecture and the requirements of the need" . So the research shed light on the basic requirements and privacy associated with the humanize the architectural product which is clearly reflected in the characteristics of the Arab-Islamic architecture,the way to the final conclusions and recommendations .

المقدمة

﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (النحل/ الآية 80)

تشير الآية الكريمة الى إن تحقيق السكن والاستيفاء المرن لمقتضى تلك الاقامة هو الهدف من انشاء المسكن المشتق من الفعل " سَكَنَ " والسكون هو ؛ السكينة، الهدوء، الاسترخاء، الراحة، الطمأنينة وغيرها ؛ تؤكد اهمية استيفاء المتطلبات الحسية والادراكية للانسان في التصميم وظيفيا وتعبيريا، وللخصائص التعبيرية دلالاتها الحضرية، وينعكس إهمالها حال البدء بالتصميم لعمارة المسكن على البيئة الحضرية المحيطة بعدد من السلبيات، خاصة اذا اقترن ذلك بقصور موازٍ في استقراء المتغيرات الفكرية الثقافية والاجتماعية واختص الله المسكن بالرعاية والاحترام ليس لما هو كعمارة , ولكن لمن هم فيه من سكان . والعلاقة بين الدلائل التشكيلية والتعبيرية لمحتوى البيئة، والمسكن احد عناصرها، وبين منظومة القيم الانسانية والثقافية علاقة تبادلية التأثر والتأثير، بإعتبار القيم الانسانية تمثل مجموعة الأفكار المشتركة التي تسهم في تنظيم السلوك ، وتعديله ، وتوجيهه ، وتحديد مضامينه .

وان تحقيق عمارة انسانية لا يمثل فقط المحافظة على التراث الحضاري كقيمة ثقافية موروثة كانت تحمل العمارة فيها طابع القداسة، ولكن من خلال ابداع عمارة تحقق المتطلبات الاساسية من النواحي الوظيفية القيمية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وإن كان بالحد الأدنى الذي يصون الكرامة الانسانية وينطلق نحو الابداع، وإلا عُدّ هذا مخالفاً للواجب والضمير الأخلاقي، ويتأتى ذلك من خلال استلهام العناصر والعلاقات والقواعد التنظيمية من العمارة التقليدية الموروثة وصهرها مع المفاهيم والمتطلبات العصرية للمجتمعات العربية الإسلامية إذ إن الخصوصية للفرد ترتبط بعقائد المجتمع وتقاليده إضافة الى اهمية تحقيق الأمان والطمأنينة التي تمثل أحدى الحاجات الاساسية .

وقد شاع في القرن الماضي عمارة حداثوية تسعى الى التنميط العالمي ابتعدت عن الإنسانية والقيم الروحية الكامنة في بنية أي مجتمع وهيمنت عليها الواحدية المادية، فعملت على تفكيك الإنسان برده الى عنصر مادي لا يشعر بالأمان وتحويله إلى وسيلة بعد ما كان غاية ، لذا فُقدت أهم مقومات انسانية العمارة، رغم ما تشهده المجتمعات من تطور عمراني بما يتطلب الإهتمام بدراسة العناصر والعلاقات والقواعد التنظيمية الكامنة في العمارة الإسلامية وخاصة البيئة السكنية في ضوء النظرية القرآنية، حيث لابد من معالجة ما تعاني منه العمارة اليوم من التشظي والتجزئة وبذلك هدف البحث إلى دراسة متطلبات الحاجة الاساسية التي يُفترض توفرها في العمارة للوصول الى عمارة انسانية تستلهم الموروث المعماري العربي الإسلامي، لتحقيق بيئة معمارية متكاملة ومحافظة على الهوية والخصوصية ، بما يساعد المصمم لجعل نتاجه أكثر فعالية وكفاءة وبما يتلائم ومتطلبات العصر الحديث بما فيه من امكانيات تقنية .

1- الإنسان والعمارة

1-1 الإنسان والبحث عن المأوى

إن أول الاسباب التي دعت الانسان الى تكوين عمارة هو حاجته الى مأوى يقيه من العوامل الفيزياوية الطبيعية كالمناخ، فكان المسكن اول عمل معماري له، وكانت هذه العوامل اول المؤثرات في تكوين الفكرة المعمارية للمسكن، فدأب الانسان على تطوير فكرة مسكنه عاكساً تأثيرات اجتماعية مختلفة نمت وتطورت مع تطورعلاقاته الاجتماعية وتكوين العائلة ، ثم اصبحت المحور الذي تتصل به شبكة العلاقات الاجتماعية ، كما اختلفت طبيعة تكوين هذه الشبكة ونسبة قوة العلاقات التي تحتويها متأثرة بالتطور الذي يخضع له ذلك المجتمع نتيجة لعوامل عدة مؤثرة عليه، منها اعتناقه للاديان والمعتقدات، والمؤثرات الحضارية التي تحدث نتيجة لتفاعله مع مجتمعات اخرى ذات خلفيات حضارية محتلفة، لذا اتخذ المصممون الاوائل اسلوب واقعي لمهمتهم باستخدام المواد المتوفرة بالتجربة والخطأ، فسعى الانسان الاول الى البحث عن الراحة والحماية من الحيوانات المفترسة والعوامل البيئية الخارجية لذلك كان عليه ان يبنى مأوى له ومن ثم السعي لانشاء

مجمعات سكنية تجاورية تحقق الأمن والخصوصية . والشكل رقم (1) يوضح المراحل الفكرية لتطور البحث عن المأوى .

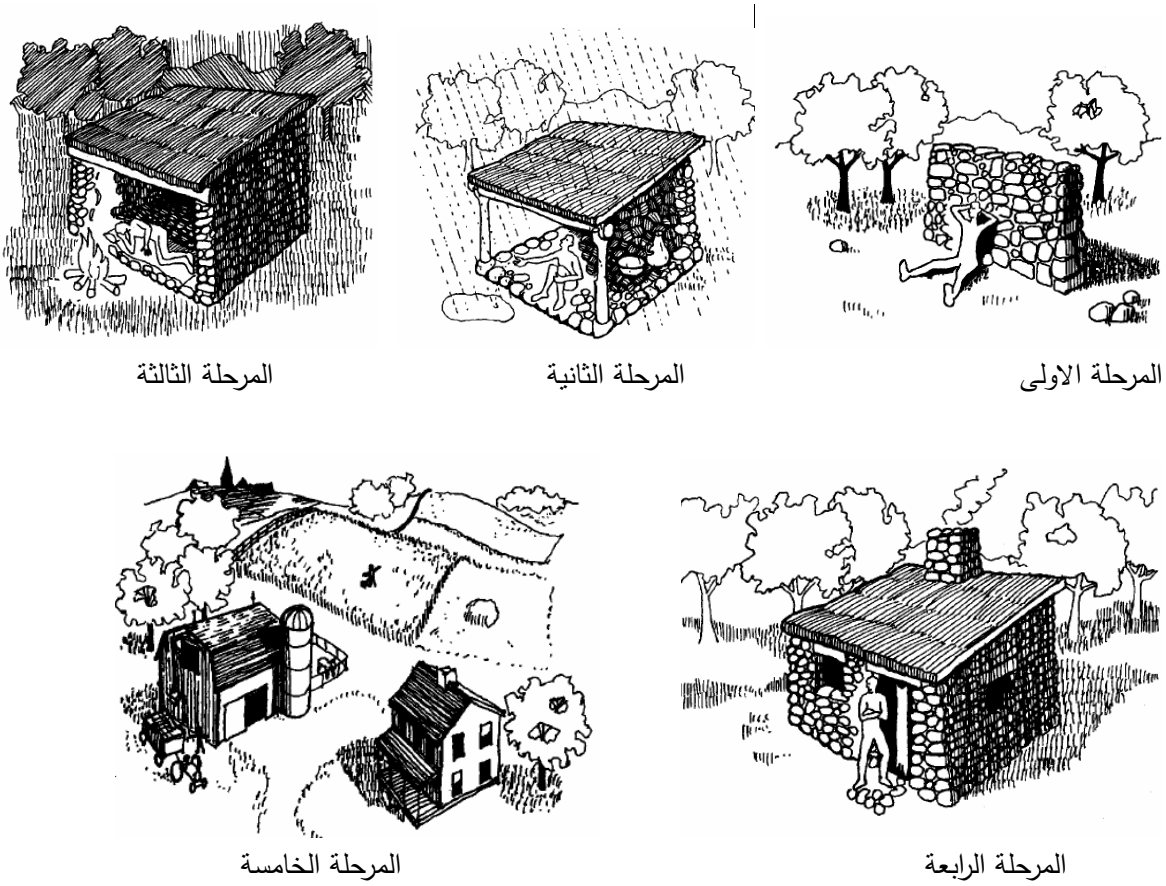

شكل رقم (1) : مراحل تطور المأوى فكرياً[1]

يبدو ان المصممين الاوائل اتخذوا اسلوب واقعي لمهمتهم باستخدام المواد المتوفرة محليا أستخداماً واعياً، وبذلك اتقى الانسان الاول الظروف الجوية ووفر لنفسه حماية من الحيوانات المفترسة . وظهر فيما بعد ما هو اكثر من تغيير المناخ المادى وهي عوامل المناخ المعنوي الذي يتمثل بمنظومة القيم الإنسانية المرتبطة بالعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجمالية والاخلاقية . وبتوفر هذه الرؤية الواسعة للمناخ العام يبقى الغرض من المبنى هو السيطرة على المناخ المحيط، مما يمكن بعض الفعاليات الانسانية كالعمل والراحة والنوم لان تتم بيسر وسهولة ليفسر العلاقة بين متطلبات الحاجة والمناخ المحيط [2] .

2-1 الإنسان والعمارة ، علاقة تفاعلية

يمكن فهم احساس الانسان ببيئته وشعوره الشخصي تجاه المدينة على انها تفاعل مستمر بين الانسان والمكان، وهو تفاعل قائم بين الإحساس الداخلي والبيئة يتجسد من خلال تأويل الذهن وتفسيره للعلاقات البيئية، لذا فأن عملية الادراك هي عملية ابداعية وليست مجرد استقبال جامد للمؤثرات البيئية التي تتمثل في؛ المحيط الطبيعي، والمحيط الفكري ، والمحيط العمراني، لذا فان كلا من البيئة الفكرية والبيئة الطبيعية تتفاعلان لتكوين البيئة العمرانية، ولهذا فان التخطيط **الاجتماعي-المكاني** مرتبط بالرؤيا المستقبلية لكيفية تشكل الحيز المكاني المرتبط بالعمارة والبعد الثقافي والاجتماعي والبعد التاريخي . فالتفاعل بين الانسان والمكان يعني القدرة على أنسنة الفضاء الذي يحتويه بكل ما يتضمنه من معان ودلالات، فدلالة التشكيل تعني دلالة فهم واستيعاب الحياة بما لها من متطلبات اساسية وحاجات إنسانية وتطلعات مستقبلية فالحيز المكاني لا يقتصرعلى الخصائص الفيزياوية وانما يتعداها الى الهوية التي تمنح الاحساس بحيوية الحيزالمكاني وتحقق المنفعة مع المحافظة على الخصوصية . ويعبر المكان عن مكنوناته من حيث الشكل أواختلاف الاشكال وتعدد القراءات ، اضافة

الى إنه يعد من الناحية الفيزياوية نسيج من العلاقات المتشابكة والمختلفة بأختلاف مكونات بيئة الانسان الفكرية وبيئته الاجتماعية والعمرانية، وهذه العلاقات المتشابكة تعتمد على مجموعة من العلاقات واهمها؛ الطبيعية، العقائدية، القيمية، والثقافية وعلاقات اعتبارية أخرى [3] . وللنظام الانساني – المكاني أربعة ركائز تقع ضمن تنظيمين هما الاجتماعي – المكاني، وهي؛ التزامن Synchronic ، الفعالية Activity ، المكانPlace ، الإنسان Human الذي هوالمحور الاساسي للارتقاء، وامتلاك المصمم القدرة على التعبير والتصور، والفعالية قدرة الانسان على التفاعل مع المكان وادراكه اما التزامن فهوالبعد الرابع والمكون المهم للحس المكاني . لهذا لا يمكن الوصول الى تشكيل كتلي ناجح بدون ركائز النظام الاجتماعي– المكاني الاربعة [4] .

لا تقتصر العمارة الإسلامية على الجانب الوظيفي أو الآلي فقط، ولكنها تعبير شامل لمواجهة المتطلبات الأساسية في ضوء القيم الإسلامية وتوفير الراحة والطمأنينة وكل ما تحمله السكنى من معاني لشاغليها، فضلاً عن الجانب التشكيلي والجمالي لاستكمال المضمون الإسلامي من واقع القيم التراثية والثقافية للمكان، فالمضمون هو الكمونية[A] للشكل ،مع المخزون في وجدان المعماري المسلم من قيم تشكيلية تراكمت عنده نتيجة لقراءاته ومشاهداته أو انطباعاته التي قد تتغير وتتطور بتغير البيئة التي يتحرك فيها حتى يصل إلى النضوج، حيث تثبت عنده فلسفة معمارية خاصة أو نظرية تشكيلية مميزة أو قيم جمالية معينة .

3-1 مفهوم العمارة والسكنى عبر التاريخ

أن تاريخ العمارة في جوهره عبارة عن تاريخ تطور التناقض بين المطلب الاجتماعي والفكري او الحضاري وبين المرحلة التقنية للحقبة الزمنية المعينة . فلقد وجدت العمارة لتلبي حاجة اجتماعية معينة، وانها لا تتناول مسألة التسقيف ومسألة التحويط بنحو أو بآخر، تكيفت لحاجات اجتماعية عبر العصور واتضح بأن للعمارة وجهين ؛ **الاول**، الوجه المادي الوظيفي لكون العمارة مادة حقيقية لها تراكيبها الإنشائية المحددة وتقنياتها الخاصة بها، ولها وظائفها المختلفة ومنها تنسيق العلاقة بين الإنسان والطبيعة بما في ذلك النواحي البيئية في حماية الانسان من المخاطر الطبيعية والمناخية . والثاني، فهو المعنوي الفكري لأن العمارة بصفتها جزء من الحياة الإجتماعية تقوم باشباع حاجات الانسان الحسية مستوعبةً الفكر الذي يحمله ذلك الشعب في تلك الحقبة الزمنية المعينة، فيكون من الضروري عند النظر الى فحوى العمارة تناول كلا الوجهين فإذا اغفل احداهما يكون التنفيذ في العمارة احادي الجانب [5] . أظهرت التنقيبات والتحريات العلمية ان الإنسان سكن ارض العراق منذ العصور الحجرية القديمة، وقد أتخذ في باديء الأمر الكهوف والمغارات مكمنا يأوى اليه من الاخطار الطبيعية وتقلبات المناخ

ثم شيد دور السكن وفق تقنيات استمد اصولها من الطبيعة التي احاطت به وباستخدام المواد المحلية كالطين والخشب ثم طورها تدريجيا باستخدام الطابوق المفخور وغير المفخور، لتتلائم مع متطلبات حياته والبيئة التي عاش فيها، وقد اهتدى الإنسان الى أصول البناء والتي يغلب عليها طابع الاقواس والقباب غير المنتظمة، فظهر بذلك المأوى أحادي الفضاء وهو مكون من غرفة دائرية واحدة فيها فتحة صغيرة كما في الشكل رقم (2)، إذ يلاحظ ان نسبة مساحة الجدران الى مساحة الفضاء الكبيرة وهذه مرتبطة بفكرة الانسان عن الكهف ذات الجدران السميكة .

[A] – الكمونية Virtuality : نظرية لدى بعض مفكري الاسلام تقول ؛ ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة على ما هي عليه الآن، ولم يتقدم خلق آدم خلق أولاده غير إن الله تعالى أكن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها، وإنما اخذت هذه المقولة من اصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة ولعلهم ارادوا بذلك الرواقيين . (ابراهيم مدكور، " المعجم الفلسفي " مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الاميرية ، 1983، ص 155)

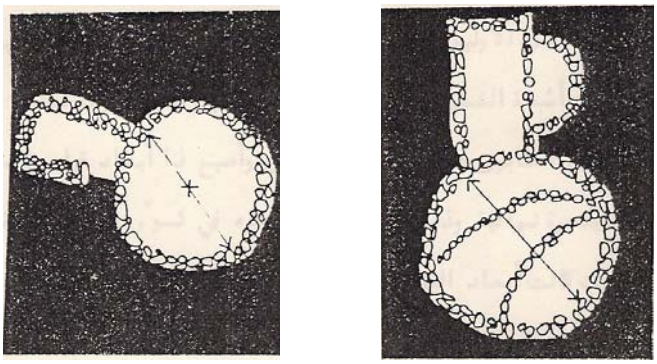

شكل رقم (2) : المأوى أحادي الفضاء

ثم ظهر المأوى المتعدد الفضاءات وتطور بعد ذلك الى المسكن ذي الفضاءات ذات الزوايا كما في الشكل رقم (3)، وجاء هذا التطور موازياً لزيادة خبرة الإنسان بالعمليات الإنشائية ومعرفته بالمواد الاولية المتوفرة ويمكن تقسيم مراحلها الى ؛ البناء غير المنتظم ، والبناء شبه المنتظم ثم المساكن المنتظمة .

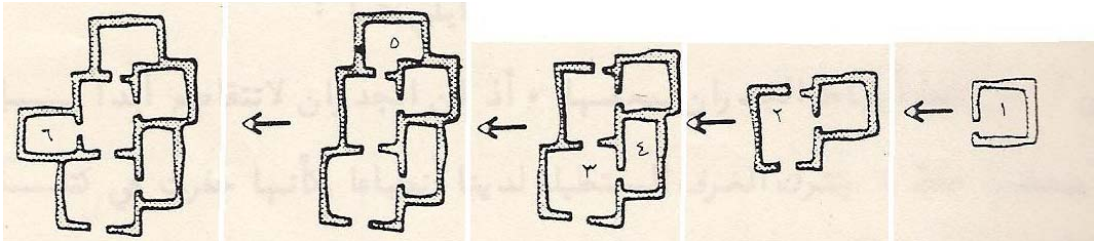

شكل رقم (3) : المأوى متعدد الفضاءات

وقد أهتم الانسان بالبناء السكني لما يمثل المسكن من استقرار لحياته ووقاية له من تقلبات المناخ . ثم ظهرت تقنيات بنائية جديدة ففي العصر البابلي على سبيل المثال تمثلت في الجدران الضخمة وارتبطت هذه الظاهرة بفكرة الإنسان عن الكهف ذي الجدران السميكة التي حفرت فيها الفضاءات بحسب الإستخدام، مع صغر فتحات الأبواب للمحافظة على البيئة الداخلية لكل فضاء ففي العمارة البابلية أتخذت معالجات لجدران البيت البابلي التي لا توازي مساراتها مسار الشارع تعرجات منشارية لتحقيق الزاويا القائمة للفناء الوسطي والفضاءات الأخرى التي كانت بالنسبة للبابلي ضرورة وظيفية وجمالية فتشكل قطع السجاد والحصران الاثاث الرئيسية للمسكن والشكل (4) يمثل المخطط الأساسي للبيت البابلي .

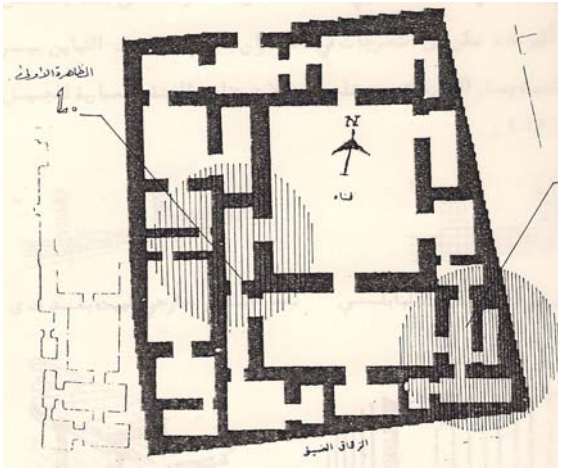

الشكل رقم (4) : المخطط الأساسي للبيت البابلي [6]

يجد الانسان نفسه في العمارة حيث تمثل الطبيعة بيته، فالعمارة ثوب يرتديه اوسع من الثوب الاول ولهذا فان اهمية العمارة تكمن في انها مشروع فردي يستوعب حاجة الجماعة الى تماثلها البيئي مع الواقع . ويكون الشكل المعماري

احيانا معبراً عن حاجة معرفية تؤسس للخلود التاريخي، فيضيف المعماري الى هذه الحاجة اهداف جديدة لطرازه مستفيدا من الحضور الجديد الذي يشكله هذا البناء، كما ان مفهوم العمارة في الحضارة المصرية ارتبط بفكرة الخلود فكانت الاهرامات باشكالها الهندسية وغموض مقاصدها احيانا هي نوع من الاطر التي عبر من خلالها الانسان عن حاجته لشكل معماري خاص يستصيب تساؤلاته المريرة حول الموت .

استطاعت العمارة الاسلامية ان تؤسس لحضارته العالمية وتعبر عن ايديولوجية جديدة فتأسس المسجد ليس تعبيرا عن اعلاء صوت الله جل جلاله في المئذنة فحسب ولكن لرغبته في ان يؤكد حضوره الحسي في فضاء المكان، ويكون المسجد في المدن الاسلامية هو القلب الذي تتوزع منه شوارع المدينة التي تكون بوابات الدخول اليها تعبيرا رمزيا عن اهمية المكان، فالمدخل هنا هو العنصر الفيزياوي الذي يكشف عن باطنية الداخل . ان مفهوم الحركة في العمارة الاسلامية خال من التعقيد وذلك لارتباطه بأبعاد رمزية هي ما تتشكل منها وظيفة هذه العمارة، يعتمد مفهوم العمارة التقليدي على الارتكاز على عدة محاور منها طبيعة اللغة المعمارية والشكل التصميمي الذي ينبع من طبيعة هذه اللغة نفسها[7] ، ومن هنا التزم المعمار المسلم بطرق تشكيلية تتوافق مع المعاني القادمة من الدين الحنيف سواء في تشكيل السطوح والفراغات والكتل فظهرت في صورة متكاملة متزنة، وأهتم بتشكيل الأسطح الداخلية سواء في الواجهات المطلة على الفناء أو في الفراغات الداخلية بانعكاس المفهوم الإسلامي على التصميم حيث أن الإسلام قد اهتم بجوهر الأمور وليس بظواهرها وعنى ببناء الإنسان قبل بناء البنيان، ووضع لذلك منهجا عمرانيا للبناء بالقدر الذي يحقق متطلبات الحاجة وذم التباهي والتفاخر بالتطاول في البنيان وكثرة الزخارف سواء كان ذلك لبناء المساكن أو غيرها، وقد جاء في القرآن الكريم (**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**) ﴿الزخرف/ الآيات 33-34-35﴾ . اما مفهوم الكلاسيكية الجديدة الذي ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر فانه يقوم على التشابهات المثيرة والاتجاهات الحادة للتكوين واستخدامه المفرط للزخرفة والنقوش والمنحوتات المجسمة، كما إن عشوائية الانشاءات وغياب المعنى في العمل المعماري وابتعادها عن الخصوصيات الثقافية لكل مجتمع ورفضها للموروث والتراث هي التي كانت تؤطر سلبيات العمارة المعاصرة .

2- العمارة ومتطلبات الحاجة

تتصف العمارة بحالة التلازم مع المجال المعرفي سواء ما أرتبط منها **بالجانب التنظيري** أو **الجانب التطبيقي**، فتعتبر العمارة الوسط الذي يتجاذب فيه مجالي المعرفة الفنية والعلمية، فتتخذ البحوث والدراسات المعمارية إتجاهين في البحث؛ منها ما يرتبط والسياق العلمي في تحقيق البنية المعمارية الخارجية والداخلية لتحقيق الحد الأقصى من الحاجة الوظيفية والتكيف البيئي للفعل المعماري وبما ينسجم والخصوصية المجتمعية الشاغلة لذلك الفعل، ومنها ما يرتبط بالعامل الأقتصادي لتحقيق الحد الأدنى من الكلفة اللازمة للتعبير عن النتاج المعماري وتجسيده في الواقع، وهذا يتأرجح بين خصوصية النتاج المعماري والغرض منه، وقد يستثنى هذا العامل أمام أهداف وغايات مطلوب تحقيقها تتجاوز أقتصادية ذلك النتاج . أما **الجانب الثالث** فهو مجموعة القيم الرمزية والمعنوية ذات الصفة اللامادية التي تفسر النتاج المعماري الذي يعتبر في كثير من الأحيان الحافز والمؤشر لإنطلاقة النتاجات . لقد طرحت بعض الدراسات والبحوث المعمارية رؤية خاصة بإتجاه موضوع العمارة وقراءتها بكيفية شمولية تهيمن على كافة مجالات العمارة وتفرعاتها، فلابد أولا توضيح تعريفات ثلاثية Vitruvius ؛ **الحاجة** ، وهي تحقيق الغرض المقصود من المنشأ، اذ لا يرتبط هذا الغرض من جهة وجود المنشأ فقط بل يتضمن إرتباطه المباشر بالمستخدم أيضا . و**المتانة** وتمثل حالة الديمومة او تحقيق حالة الثبات والدوام للمنشأ . و**الجمال** وهي الجانب الشعوري والبعد النفسي الذي يُخلفه النتاج المعماري أو المنشأ لدى المتلقي، ويكون هذا على مستويين؛ **الاول**، الإدراك المباشر ، والذي يرتبط بمجموعة القيم والمثل التعبيرية التي يعكسها النتاج والقصدية من ورائه . أما **الثاني** فهو معايير التناسب والتقييس الخاصة بأجزاء المنشأ وكيفية تناسقها وإنسجامها مع بعضها إعتمادا على القصد الهندسي والرياضي أو القصد التعبيري [8] . ويكون

تكامل مواصفات العمارة النوعية سبيل المعماري إلى تحقيق مباديء العمارة منها ؛ **النظام** order يعني اختيار العناصر التي ننشأ منها عملا فنيا متكاملا. **الترتيب** arrangement ، يتضمن وضع الاشياء في أماكنها الصحيحة التي تجعلها منسجمة في تأثيرها ومتوافقة مع سمة العمل . **الإيقاع** eurhythmy ويعني به الجمال والتوافق في ترتيب العناصر. **التناظر** symmetry وهو العلاقة الصحيحة بين الاجزاء المختلفة والنهج الكلي العام، بحسب جزء معين يتم انتخابه كمقياس . **الملائمة واللياقة** propriety يتسم بها العمل عندما يعتمد مباديء متفق عليها . **الاقتصاد** economy يشير الى التعامل الصحيح مع المواد والموقع بحسب ما يتوفر من ميزانية . [9]

2-1 الإنسان وحاجاته الأساسية

وضع Maslow الحاجات الانسانية في تنظيم هرمي متدرج طبقا للاولويات ابتداءاً من الحاجة الملحة الى الاقل الحاحا وهكذا حتى اضعفها، وفي هذا الاطار يعتقد Maslow إنه عند تلبية الحاجة التي تأتي في المرتبة الاولى ستصبح الاولوية للاحتياج الذي يليه في المرتبة نسبة الى الانسان ، وقد رتب تلك الاحتياجات كما يلي :

1- حاجات فسيولوجية **Physiological** (الجوع ، العطش ، المأوى...).

2- حاجات امنية **Safety** (الحماية الطبيعية، الخصوصية، التأقلم الذاتي ونمط البيئة الحضرية)

3- حاجات انتمائية **Love/ Belonging** (الحاجة لعضوية الجماعة والعلاقات الشخصية)

4- حاجات إحترام الرغبة الانسانية **Esteem** (إحترام الذات ، اضفاء الطابع الشخصي على البيئة الخاصة)

5- حاجات تحقيق الذات **Self-actualization** (مرتبطة بالجمال والرغبة بالتعلم والنجاح ...) .

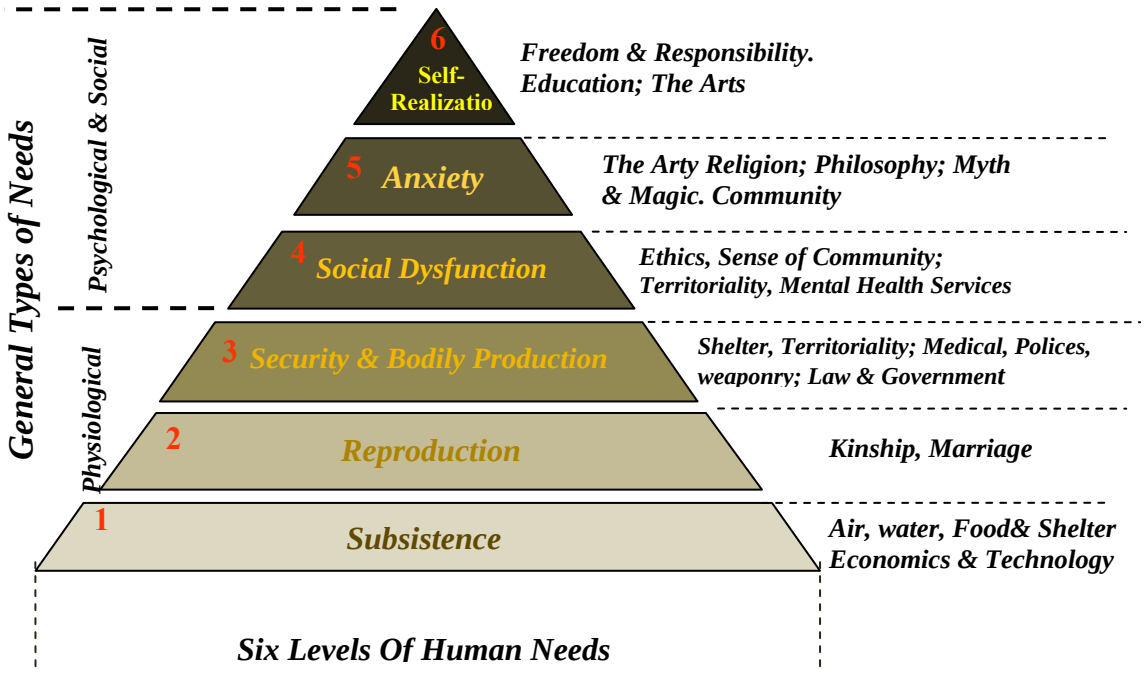

Maslow's hierarchy of needs : شكل رقم (6)

وأن ***Maslow*** رتب الحاجات للانسان بشكل هرمي متدرج، فالحاجات الفسيولوجية تأتي في التدرج كأول الحاجات المحركة لسلوك الإنسان، ولا تحرك سلوكه الحاجات الأخرى مثل الأمن والحاجات الاجتماعية وحاجات احترام الذات وتحقيق الذات مادامت تلك الحاجة لم يتم اشباعها لذا ستكون الحاجات الفسيولوجية هي المسيطرة على السلوك

الانساني. وكذلك افتقار تلك نظرية ***Maslow*** الى الحاجات الروحية رغم أن الله سبحانه فطر الانسان على دين يتعبّده ، فالانسان يتكون أصلاً من مادة وروح ، فكما للجسم غذاء واشباعات مادية فإن للروح غذاء يلائمها ويحييها حياة طيبة .

تهتم البيئة البدائية بتعريف هويتها عن طريق الاهتمام الكبير في التفاصيل الصغيرة للبيئات إلى جانب كونها معروفة وذات معنى تام ومصنوعة على وفق بيئة وهيكل فضائي معقد وهي تمثل القدرة الفطرية التي يتمكن العقل بوساطتها من الإدراك والتفكير، مثل المقارنة بين الأشياء وتمييز خصائصها. وان هذه القدرة متصلة بطبيعة العقل اتصالاً وثيقاً بحيث يستحيل فصلها عنه، وتكون الأفكار الناشئة عنها غير قابلة للخطأ، واعتمادا على هذا التفاعل أبعد ما يكون عن عملية مكرّسة للتغيير، بل العكس، لكون جزء منه موجهاً نحو المحافظة على توازن يتطور باستمرار. حيث أن منظومة القوانين المعمارية هي بالاساس منظمة للحالة المستقرة ، وأن أمكانية حصول التغيرات الطرازية لا تعزى إلى قابلية المجتمع لبناء التفسيرات الجديدة المبتكرة للأشكال الجديدة تماماً، بل إلى قابليتهم لاكتشاف علاقة تشابة معيّنة بين شكل جديد و أحد القوانيين التي سبق وضعها وتثبيتها . ويشير لوكوربوزيه إلى أن التعامل مع عمارة الإنسان الأولى كان على وفق المقياس الإنساني المشتق من الإنسان ككل أو من خلال حركاته وخطواته كأجزاء حيث كان تعامله مع الأشكال الأولية(Archetypes) من خلال الهندسة النقية . إذ يَعد الهندسة لغة العقل. والعقل جزء من الفطرة. أي إنها نتاج مباشر قريب من الفطرة والحدس. ويؤكد من خلال بحثه عن الفطرة إنه لا يمكن الوصول إليها بخط مستقيم، ولكن يمكن الوصول إلى من كان يطلب تعامله مع الفطرة والحدس، ويرى إنه لا يوجد إنسان بدائي ولكن يوجد إنسان أول . والبدائية المقصودة هي في أدواته وليس في عقله. وذلك لأن للإنسان فطرة كما له عقل يمثل النتاج الحضاري للإنسان. **فالإنسان الأول كان يتفاعل مع كل من الفطرة والعقل لكنه كان يغلب الحدس و الفطرة على العقل وذلك لبدائية أدواته وخلفيته الحضارية الأولية** [10] .

وإن التأكيد على دور المصمم المعماري لا يتعارض مع حقيقة كون الانسان في العصور الغابرة يشيد مسكنه بنفسه وبالتالي تتبع خياراته بالضرورة من التقاليد والعرف السائد وضمن هذا التوجه تطورت الاشكال التقليدية للابنية عامة والمسكن بشكل خاص لتصبح اكثر استجابة للحاجات الانسانية ، بينما نجد الفصل الواضح بين تلك الحاجات والعمارة في المرحلة المعاصرة، فصار المعماري يعمل دون ان يعي متطلبات مستخدمي العمارة التي يشيدها، مما دفع الكثير من الدراسات لسد تلك الثغرة الواضحة في ثلاث جوانب رئيسية ؛ الحاجات الاساسية من خلال غنى البيئة المعمارية بالفرص والامكانات، ومراعاة القيم الحضارية في تصميم البيئة الفيزياوية، والمرونة بالتصميم . يعد تفسير حاجة الانسان وترجمتها الى عمارة من واجبات المصمم الأولية لما منح الله الانسان من مكانة فريدة في الكون وخصه بإستخلاف الارض، فهو كل وجزء من كل أعظم وأشمل، يتشكل الكل مع عناصره الاساسية الكلية والفرعية ومع النفس مع مستويات وعيها العديدة للمكان فلابد من توفرعدة احتياجات اساسية الغاية منها تحقيق التشكل المكاني المتزن [11] .

حدد الإسلام للسلوك الإنساني أسس تصميمة وأوجد عناصر معمارية ذات وظائف متعددة لبناء احتياجات العمارة الإسلامية وأعطى صورة متغيرة متنوعة فى الشكل والتشكيل، واستوحى المعمارالمسلم اسماء بعض العناصر المعمارية من القران الكريم والتي انتظمت حول الفناء مثل المقعد (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**) ﴿القمر/ الآيات 54-55﴾، وتوجيه بعض فضاءات المسكن باتجاه القبلة، لتلبي بالدرجة الأولى احتياجات الإنسان المسلم النابعة من العقيدة وتحقيق الخصوصية للفرد والمجتمع . فالمسكن في المنظور الإسلامي يعتبر وحدة اجتماعية لا ينفصل فيها البناء عن الأسرة التي تقيم فيه بل أن المضمون الإسلامي لمتطلبات الأسرة المسلمة هو الذي يحدد الفضاءات الداخلية، مما يعني وجود مشاركة فعلية بين صاحب المسكن و المعماري أو الحرفي في بناء المسكن . وتُعد العمارة العربية الإسلامية أنموذجاً عمرانياً رائداً ترتكز على مضامين وقيم إنسانية سامية مستمدة من النظرية القرآنية، فضلاً عن المضامين التي أفرزتها ظروف المكان والزمان، فكانت العمارة المعبِّر الصادق عن تطلعات وهواجس الإنسان العربي المسلم في كل

مراحل تطورها الحضاري، وهي لم تكن مجرد تشكيلات بنائية تحكمها قيم فنية أو متطلبات وظيفية مجردة فحسب، بل محتوى اجتماعي واقتصادي وثقافي وفكري ، وبذا فان هذه العمارة تحاكي المعاني والرموز الإنسانية النبيلة [12] .

2-2 العمارة والحيز الإنساني

يمثل الحيز مفهوما فضائيا مانحاً لشعور الإنتماء والإحتواء والملائمة لمختلف الفعاليات الإنسانية ، وهذا ما يبرر اهمية الحيز للمصمم المعماري لكي يلبي الاحتياجات الوظيفية والجمالية ، والحيز كفلسفة زمانية-مكانية يستمد صيرورته من جوهر مباديء الدين الاسلامي من حيث البساطة وعدم المبالغة مع ضمان حفظ الخصوصيات وتحقيق التفاعل الاجتماعي، وقد عرفه الكنّدي بأنه : " نهايات الجسم، ويقال هو التقاء أفقي المحيط والمحاط به " . وبهذا يشكل الإطار المكاني للمحتوى فهو" الحاوي له " ، ويتفق هذا مع تعريف الجرجاني على إنه : " السطح الباطن من الجسم الحاوي ، المماس للسطح الظاهر من الجسم الحاوي " فهو باطن الشيء وجوهره وهو ملموس ومحسوس، ذو تشكيل فيزياوي يأخذ شكل الجسم الحاوي له [13] . ولما كان الادراك هوعملية حصول الانسان على المعلومات من محيطه، وهي عملية فعالة وهادفة يلتقي فيها الفهم مع الحقيقة، فأن الاحساس بذلك الحيز يتكون عند تحقيق علاقة ادراكية معينة بين الانسان وبيئته، تتسع هذه العلاقة لتشمل حواس الانسان المختلفة، ولذا نجد ان المدينة التقليدية تعطي للانسان الاساس اللازم لتشكيل كتلي وفراغي متكامل وتفاعل مكاني متواصل حيث تتبنى مراحل الادراك هذه ثلاث حلقات تتمثل ؛ الإدراك **الحسي** Perception، والإدراك **المعرفي** Cognition، و**التقييم** Evaluation [14] .

ينبغي على العمارة توفير محيط ملائم لتشكيل السلوك من خلال تبادل المشاعر الطيبة مع الآخرين وتحقيق مستوى من الحاجات النفسية المهمة كالأمان والخصوصية تعزيز التفاعل الانساني ، أي ان هناك علاقات متشابكة بين الفعاليات البشرية human activities والفضاءات المعمارية physical spaces ، وإن تغير احدهما يترتب عليه تغير الثانية مع كون العلاقات الانسانية عموما تمتاز بقوتها في المجتمع العربي الإسلامي انطلاقاً مما جبل عليه المجتمع من التمسك بالقيم الاخلاقية والاعراف والتقاليد فقد جاء الدين الاسلامي الحنيف بقيم انسانية ومباديء عامة تنظم حياة الفرد والاسرة والمجتمع رابطةً كل ذلك بتقوى الله والعمل الصالح .

تتميز التجربة الفراغية في الشارع العربي الإسلامي بميزة إنسانية فالمباني في إرتفاعاتها المختلفة لا تشعر المار بانها صروح طاغية بل على العكس تكاد تكون كلها كأنها مساكن خاصة لا علاقة بايقاع الحركة السريع التي يحتضنها الشارع المعاصر، وتقاربها مع بعضها بل تلاصقها في الكثير من الاحيان يجعلها تبدو وكأنها كل متكامل، وهذا التوازن بين الشارع والوحدات المكونة له هو ايضا انعكاس لبنية اجتماعية انسانية ، كما رسمت العمارة العربية الإسلامية نظاماً إنسانياً ينتقل فيه الفرد من العام الى الخاص وفق تدرج فضائي محكم ماراً بفضاءات شبه خاصة واخرى شبه عامة . ويتفق المنظرون على دور المعماري الكبير في السيطرة على البيئة مما يحقق التفاعل الانساني، فيؤكد شولتز Schulz هذه الحقيقة بأربعة جوانب للعمل المعماري ؛ **التحكم الفيزياوي** Physical Control بالسيطرة على التنظيم الداخلي للمبنى ، **الاطار الوظيفي** Functional Frame من خلال تحديد الحجم والكيفية للفضاء والمحاور، **السياق الاجتماعي** Social Context بتحديد مدى التفاعل الانساني والاجتماعي ، **الترميز الثقافي** Cultural Symbolization من خلال تجسيد القيم الانسانية والنظم الرمزية منها .

2- 3 الاعتبارات الإنسانية كمؤشر تصميمي

تؤكد القواعد الإنسانية والاخلاقية والشرائع السماوية والقوانين الوضعية إن المسكن حق طبيعي وحاجة اساسية، فينبغي ان لا يقتصر المسكن على اطاره الانشائي فحسب وإنما يجب ان يحتوي على مضامين تتعلق بالنواحي الانسانية والإجتماعية، وان فكرة السكن لا تتحق الا بوجود اثنين معاً ؛ المسكن ، وساكنه كوجهين لعملة واحدة ، الامر الذي يتطلب التعامل مع الاثنين معا بهدف خلق البيئة السكنية الملائمة لساكنيها واعتماد ذلك في طرح الحلول والبدائل التصميمية للبيئة العمرانية بشكل عام ومنها السكنية على وجه الخصوص والتي تُعنى باتخاذ الاعتبارات الإنسانية مؤشرا تصميمياً لعمارة

المسكن بشقيها؛ **الوظيفي النفعي، والحسي التعبيري**، تجاه ما يكفل استيفائه للجوانب الادراكية والحسية للإنسان بما يوفر الطمأنينة والراحة وملبية لمتطلبات الحاجة إزاء الدور الذي تلعبه الملائمة الوظيفية في تعزيز المردود الحسي لايجابيات استخدام الفضاء المعماري، وباعتبار أن وظيفة الفعل المعماري والاعتبارات الإنسانية كل لا يتجزأ، ويتلخص دور الأخيرة في توجيه الصياغة التصميمية وفقاً لـ ؛

– **الاعتبار النفعي** " **الوظيفي** " يؤمن للإنسان بقائه وإستمراريته ويرتبط بمضمون الشق الوظيفي لصياغة الفضاء المعماري ؛ ومدى استيفائه وملاءمته لمختلف الأنشطة الحيوية على تنوعها الوظيفي، على أن ؛ تحقق **التكامل الوظيفي المكاني** لمجمل عناصر الفعل المعماري، **والملائمة الفراغية** لمتطلبات الوظائف المستهدفة باعتبار أن استيفاء الفضاء للوظائف المقترحة له ينعكس إيجابا على المردود النفسي لمستخدمه . **وملائمة صياغة العناصر التشكيلية للمعطيات المناخية** مثل حركة الشمس واتجاه الرياح ، ونسب الإشعاع الشمسي، وغير ذلك . **وملائمة صياغة عناصر التشكيل للمعطيات البيئية،** فالطبيعية المتعلقة بمقومات الموقع المكانية من طبوغرافية الأرض، ونطاق رؤية، وشبكات طرق، ووظائف العناصر المعمارية المحيطة. **وملائمة الصياغة الوظيفية** لمختلف العناصر لثقافة المستخدم من جانب ، وفرضيات الواقع الثقافي من جانب أخر.

– **الاعتبار الحسي** " **التعبيري** " ويرتبط باستيفاء الاعتبارات الإنسانية الحسية والادراكية المتعلقة بالصياغة التعبيرية للنتاج، والمردود الحسي لطبيعة أداء الوظائف والتي يمكن ايجازها في ؛ **متطلبات رمزية** تحدد الهوية المعمارية وتجسدها الطرز والأنماط، والدلالات الرمزية للموروثات، وردود الأفعال التأثيرية لعناصر ومفردات تشكيل النتاج على اختلاف صوره الوظيفية . و **متطلبات جمالية** "إستيطيقية" وتستهدف تخفيف حدة الملل المترتب على التعامل المتكرر مع شكليات الإطار المحيط، وترتبط بالدلالات الرمزية للأبعاد التشكيلية " مقومات التكوين البصري ؛ الوحدة والتنوع ، النسب، الإيقاع، التماثل، التوازن والتغاير، التباين، وغيرها من معايير تهدف إلى تسهيل لغة التعبير [15] .

3- العمارة ومثالية التنظير

تعد ثنائية الانتقال بالافكار من عالم التنظير الى عالم التطبيق ، من الذهن الى ارض الواقع لتجسيدها بشكل بنى فيزياوية من الثنائيات التي تواجه اشكالية في تفسيرها إذ يقول هيغل بان" الفكرة تفقد بريقها عندما تصبح واقعا " ومن المعروف ان اي فكرة لا ترتقي من الناحية المنهجية الى مصاف النظرية الا اذا تم قياس صوابها ومدى فعاليتها في حل المشكلة البحثية، واما غير ذلك فيطلق عليها مصطلح فرضية الى ان يتم اختبار مصداقيتها في الميدان العملي وهذا ليس من باب الترف الفكري . وإن اشكاليات التنظير المعماري التي تكرس الفصل بين الذات الواعية واشياء العالم بالدرجة الأولى في اساليب التعامل مع الشكل والفراغ من قبل كل من المعمار والعامة وفي الدور المهم الذي يحاول المعمار تمثيله من خلال مكانته المهنية المهنية والاجتماعية المتميزة فهو بطبيعة دراسته الأكاديمية يتميز عن العامة بمعرفته النظرية التي تخص بالدرجة الأساس التركيبات الشكلية والفراغية من انسجام وتناسب وتضاد وتلاعب بالكتل والحجوم والظل والضوء والتنوع في المواد، وهذه الأفكار لا يشاركه فيها العامة وضمن إطار التناقض هذا يُصوّر المعمار على انه الفنان المبدع الخلاق صاحب التصورات المثالية للعمارة والعمران والذي يسعى دائماً لبناء البيئة المثالية والمدينة الفاضلة وهو في سبيل تحقيق رسالته هذه يواجه دائما بجهل العامة التي لا تهمها إلا الإمور المادية والنفعية . ولا شك في إن التعليم النظري بشكل عام يميز بشكل أو بآخر بين العلماء والعامة إلا أن الوضع في العمارة بشكل خاص مختلف، ففي حين الانسان العادي قد لا تشغله مسائل الرياضيات او التاريخ أو الفلك إلا إن بيته يشغله بالغريزة فهو عالمه الصغير الذي يعرفه حق المعرفة ويعرف ما يناسبه وما يريحه بغض النظر عما إذا كانت هذه المعرفة مدعومة بتفسير نظري أم لا [16] . ولهذا علاقة وطيدة بالقيمة التي توليها سياسة البحث العلمي في ميدان العمارة، فضلاً عن الشرخ المستديم بين ميدان البحث التنظيري والميدان المهني التطبيقي للعمارة.

1-3 نظريات العمارة

ان النظرية هي خطاب يصف الممارسة والانتاج للعمارة، ويعرّف التحديات التي تواجهها، وهي تتداخل وتتراكب مع تاريخ العمارة ولكنها تختلف عنه وعن الوصف للعمل السابق، وعن النقد والفعالية الضيقة للتفسير والحكم على الأعمال وفقاً لمعايير منتخبة، وتختلف كذلك عن هذه الأنشطة كونها تصطنع الحلول البديلة المستندة على الملاحظات للحالة الحاضرة للنظام، وتمنح عروض فكرية جديدة لاجل التقرب من المسائل. ان طبيعتها التأملية التوقعية والتحفيزية تنشّط الفعالية النظرية حول النقد والتاريخ . والنظرية تعمل على مستويات مختلفة من التلخيص، او تقوم بتقييم المهنة المعمارية وأغراضها وعلاقتها الحضارية بصورة واسعة وهي تتعامل مع الطروحات المعمارية وبقدر تحققها . ويمكن تمييز النظرية من خلال عدة مواقف، ويمكن الوقوف على وصف مختصر لانواع النظريات كما يلي:

– النظرية الوصفية، تمنح حلولاً حية لمشاكل معينة، وتؤسس لمباديء جديدة للممارسة والتطبيق .

– النظرية التجريبية، وتعتمد على معايير غابت عنها الصفات السلبية، وتختلف عن الوصفية في إن المقاييس هي التي تقرر ما الذي يجب في التصميم المعماري .

– النظرية النقدية، وهي أوسع من سابقاتها، فهي تقيم العالم المبني وعلاقاته مع المجتمع الذي تخدمه، ان هذا النوع من النظريات غالباً ما يمتلك توجهاً معبراً عنه سياسياً واخلاقياً ويحفز على التغيير.

أكد فنتوري في كتابه " التعقيد والتناقض في العمارة " أن العمارة تتضمن صيغة تعقيدية واضحة في التطبيق، فالتعقيد كما يراه موجود ضمنًا : " أن العمارة بالأساس معقدة ومتناقضة لمجرد إحتوائها على العناصر التقليدية والتي تشمل المنفعة والمتانة والبهجة فمتطلبات البرنامج والتركيب الأنشائي والمعدات الميكانيكية والتعبير، هي متطلبات متنوعة ومتناقضة " [17]، أي أن وجود تشابه بين ما طرحه فيتروفيوس من مفاهيم ومايطرحه فنتوري فالتشابه أو التطابق حاصل بين مفهومي المنفعة والمتانة ومايقابله من مفهومي البرنامج الوظيفي والتركيب الإنشائي .

أشار الجادرجي في مقالته " إشكالية العمارة والتنظير البنيوي" إلى مفهوم الحاجة في العمارة والتي حُددت بثلاث أصناف وهي ؛ الحاجة النفعية، والحاجة الرمزية، والحاجة الأستطيقية، فالحاجة النفعية هي التي تؤمن متطلبات الحاجة، كتأمين الملجأ والخزن والراحة البدنية والنقل والحماية، ويتمثل هذا في وظائف الدار والقلعة والكرسي والعربة والسيف . أما الحاجة الرمزية فهي التي تلبي متطلبات هوية الفرد والمجموعة، وتعبر وتعلن عنها، ويتحقق هذا عن طريق مصنعات تحمل معالم تُعبر عن متطلبات هوية الذات، ويتمثل هذا في الدلالات المعنوية كالفخامة وطرز المعابد . أما الحاجة الأستطيقية والتي تهتم بتخفيف حدة الملل الذي يحدث بسبب التعامل المتكرر، ويتحقق هذا عن طريق إستحداث شكليات متنوعة المعالم التي تحملها المصنعات، ولكي لا يؤلف هذا التنوع فوضى بصرية فأنه ينظمها عن طريق أنماط ترتب التكوين الشكلي، وذلك بنسب وإيقاع وتماثل وتوازن وتغاير وتباين وغيرها من مقومات التكوين البصري [18] .

وأشار عبد الباقي إبراهيم إلى عدة مستويات ضمن البيئة الإسلامية تتمحور حول" المضمون " و" الشكل "، واعتبر المضمون أساسا وجوهرا في العمارة الإسلامية ووصفه كتعبير عن الجوانب الوظيفية والعقائدية وهو يمثل التعبير الثابت الذي لا يختلف باختلاف الزمان والمكان وينعكس على الشكل، وأما الشكل المعماري فيمثل التعبير المتغير الذي يمكن أن يتخذ صيغا مختلفة وفقا لعدة جوانب ترتبط بالوسائل التنفيذية وبعض القيم الفنية المتوارثة في أي زمان و مكان . وان الثابت يرتبط بمجموعة من العناصر الشكلية للمبنى والبارزة ضمن المعالم الإسلامية الأولى والمتغير يشير إلى مجموعة من الصيغ لهذه العناصر المرتبطة بعدة عوامل مختلفة، فقد ارتبطت الثوابت بأربعة عناصر رئيسية للمباني الإسلامية الأولى، تمثلت العناصر بكل من؛ الصحن، الرواق المحيط، جدار القبلة والمنبر، في حالة كون المبنى جامع ، وأما المتغيرات فإنها ارتبطت بصيغ المعالجات المنتخبة لتلك العناصر لتتوافق مع التأثيرات المختلفة المرتبطة بها ، تشير تلك الصيغ إلى الأشكال المختلفة لهذه العناصر والأنماط التنظيمية لها بما يتوافق مع خصوصيات البيئة المحلية ، الزمان والمكان والمتطلبات الوظيفية، وتشير الخصائص الشكلية للعمارة الإسلامية إلى ؛ التناظر و المحورية Symmetry ،

التدرج أو التقدم Hierarchy Progression ، التكرار Repetition ، وخصائص أخرى تستعمل لتمثيل بعض الرموز Symbols . وان تحديد خصائص العمارة أو قواعد التشكيل Rules of Composition لا يتم من خلال دراستها بشكل مجرد وبمعزل عن المحتوى وإنما من خلال دراسة التطور النوعي لعناصرها Typology والتطور الفكريMorphology ، فهذا المنهج يوفر أفكار جديدة في التصميم [19] .

ركز رسكن Ruskin على ضرورة رؤية العمارة بمنظور جدي على اعتبار أنه يمكن العيش بدون عمارة والتعبد بدونها أيضا ولكن لا يمكن التذكر بدون عمارة، وهذا يعني أهمية البُعد التاريخي في العمل المعماري بالاشارة إلى حقيقتين: **الأولى**، رؤية التاريخ من خلال العمارة، و**الثانية** أن تحتوي النتاجات المعمارية من الخصائص ما يؤهلها لأن تكون انسانية، فالمحاولات المتعددة للتنصل من القيم الثقافية والإجتماعية بدعوى عدم صلاحيتها للحداثة خلّف نمطاً معمارياً غير محدد الملامح [20]. ويتميز النسيج الحضري التقليدي بالمرونة والنظام والنمو المتوازن، وان تجاوزها يفقده خاصية الاستقرار وحفظ الخصوصية الثقافية، فالعمارة العربية المعاصرة تجاوزت معظم المقاييس في نموها دون اعتبار للخلفية الاجتماعية أو الاقتصادية أو البيئية أو العقائدية للبلد التي تنتمي له بسبب الجدل التنظيري المنعزل عن ازمة الواقع . أدى هذا الى ؛ **التدمير البيئي، وتشويه الهوية، والاستنزاف الاقتصادي، والاغتراب الإجتماعي** . يتمثل **التدمير البيئي** في التغيير القسري لاستعمالات الارض لما له من تأثيرات سلبية على قدسية البيئة الطبيعية وتدمير الثروات الزراعية والحيوانية وفقدان التوازن الإيكولوجي . وتعد **الهوية** كاشكالية تحتل العمارة فيها دورا كبيرا عبر محاولة تشكيل القيم الرمزية للنتاج، اذ غالبا ما تتراكم هذه القيم عبر العلاقة التاريخية اللاشعورية بين المجتمع والنتاج المعماري . أما **الإستنزاف الإقتصادي** فهو ما نعني به انشاء بيئة مشيدة مكلفة جدا ونتاج معماري يفوق الحاجة الفعلية لتحقيق المتطلبات الانسانية وعمارة تسلطية لا تحترم الآخر والمتلقي، كما أن الكلف الاقتصادية للنتاجات المعمارية تفوق الاحتياج الفعلي للمجتمع المحلي مما يعني انها تقترب من الخيلاء والكِبر والتفريط في تحقيق عمارة تخدم الجانب الإنساني . ويتولد **الاغتراب الاجتماعي** في تجاهل التركيبة السكانية داخل النسيج الحضري وقيمها الاجتماعية في التخطيط الحديث الذي تتعدد فيه الوظائف والاستعمالات، في حين إن الرؤية الإسلامية تقوم على مبدأ التآخي والتآلف والتازر ومراعاة حقوق الجار وحفظ الخصوصية داخل النسيج الحضري دون الانقطاع عن الموروث الثقافي والاجتماعي ودون الاخذ بوهم الابداع الاخافةومحاولة بلوغ المستحيل .

2-3 مؤشرات الإنسانية في العمارة العربية الإسلامية

أكد الإسلام على الخصوصية Privacy ويقصد بها العزل البصري بين الرجال والنساء(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) ﴿النور/ الآية 27﴾ للحرص على خصوصية المسكن و كذلك إقرار مبدأ الوسطية (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**) ﴿البقرة/ الآية 134﴾ ، وكذلك مبدأ عدم الإسراف والبساطة والتواضع والمساواة والتكامل الاجتماعي ويبرز أيضا مبدأ التجريد وكراهية التشخيص فالطروحات الإسلامية أثرت على سلوك المجتمع الإسلامي وأفكاره مما صبغ الحضارة الإسلامية بصبغة مميزة وكانت العمارة واحدة من مظاهر الحضارة التي أثر عليها الفكر الإسلامي وحدد صفاتها وحدد بالضرورة صفات الفضاء المعماري في العمارة الإسلامية ،ولهذا قال Schulz بأن العمارة الإسلامية حقيقة نكتشفها بزيارتنا لها إذ نشعرها قبل أن نلتقي بأي إنسان أو نرى أي علامة كتابية ، نشعرها في كل مبنى وفي كل زخرفة وعلى مستوى المدينة ككل، هذا الشعور الذي جعل Schulz يطلق على العمارة الإسلامية ،عمارة الوحدة (Architecture of Unity) . تتجلى علاقة العمارة بالدين الإسلامي من خلال عقيدة التوحيد كأساس عقائدي ، فالعمارة ممارسةحضارية تبدأ لإيمان في البحث عن سر المطلق وعن قدراته الهائلة التي تتمثل في الكائنات والطبيعة وقد تجسدت هذه العلاقة في العمارة العربية الاسلامية في العديد من المؤشرات تعكس انسانية تلك العمارة ومنها :

– عمارة تحترم **المقياس الإنساني** باعتبار الإنسان المخلوق الذي كرمه " الله تعالى " عن بقية المخلوقات واعتباره قيمة عليا، وقد شبه ابن قتيبة الدار بالقميص، فحيث يخاط القميص حسب مقاس صاحبه، كذلك يبنى البيت حسب مقياس

ساكنه، وبهذا يُعَدُّ ابن قتيبة أول من تحدث عن المقياس الإنساني Human Scale في العمارة الإسلامية، فالغرض الأساس من العمارة، هو تحقيق السكينة والثقة لمن يشغل هذه العمارة، سواء كانت عامة أو خاصة، فالأصل هو الإنسان وحاجاته وطموحاته، ومنه تتسلسل مراحل العمارة دون أن تنفصل عنه في أي مرحلة من مراحله . ويتجلى المقياس الإنساني في العمارة الإسلامية في تحقيق التوازن المُناخي أو ما يسمى التكييف عن طريق التكوين المعماري، وكان أهم ما لفت اهتمام المعمار هو "العزل" أي تخفيف أوصد المؤثرات المُناخية الخارجية عن المسكن . واعتمد المقياس الانساني عمارة مسجد المدينة والذي قال الرسول ﷺ لما بناه : " أبنوه عريشاً كعريش موسى، فسُئل الإمام الحسن (ع): وما عريش موسى ؟ قال : اذا رفع يده بلغ العريش، يعني السقف .

-عمارة تحقق الخصوصية لمستعملي المسكن والآخرين **بالانفتاح نحو الداخل** وتوجيه الرؤيا نحو السماء حيث يمثل الفِناءُ الداخلي المعبر عن طبيعة الحياة الاجتماعية والمناخية، وبأسبقية الداخل على الخارج والمضمون على الشكل والجوهر على المظهر .

- **البساطة في المظهر والاغناء في الجوهر**، مما يعني بساطة الواجهات الخارجية لأسباب كثيرة أبرزها رغبة المعمار المسلم بعدم التظاهر والتفاخر وتشكيل عمارة بسيطة متواضعة وظيفية اقتصادية بحد أدنى من الزخرف والتزيين.

- تميزت العمارة الإسلامية **بانسجام الشكل المعماري مع المضمون الوظيفي** ولكن اختلاف العادات واللغات والحضارات في العالم الذي دان بالإسلام من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، أوجد تنوعاً في الإبداع مع التصاق قوي بالوظيفة. ولقد كان الطراز الإغريقي والروماني واحداً في جميع المباني على اختلاف وظائفها.

- **الوحدة والتنوع** في العمارة الإسلامية،: تستمد من وحدة الأله ، والتنوع مع الوحدة يماثل التعامل مع الأصوات لانتاج التناغم . ولعل الوحدة من أبرز خصائص العمارة الإسلامية، وتتجلى في العمارة الدينية والمدنية، وفي العمارة الخاصة والعامة على اختلاف المناطق وتتالي العصور. وتبقى هذه الوحدة العامل الأساس في تكوين هُوية العمارة الإسلامية، أما تنوع أساليب العمارة فتعبر عن دور الإبداع في التصميم المعماري بالتنوع في الأساليب والطراز والأشكال . ولهذا كان أمام المصمم فرص كثيرة لتنوع الإبداع ضمن حرية واسعة يسدد اتجاهها الفكر الجمالي الإسلامي، وبهذا كان التنوع مصحوباً دائماً بوحدة الأسس الجمالية التي يقوم عليها الإبداع الإسلامي.

- إن العمارة الإسلامية هي **عمارة مستقلة عن الخارج منفتحة على الداخل**، وجميع العناصر المعمارية من فراغ وكتل وخطوط وزخارف يعيشها سكان العمارة، ولكن ثمة عناصر اتصال بالسماء تتمثل بالصحن كفِناء مفتوح، وبالمئذنة والقبة، الأولى تعبر عن التسامي لاختراق أسرار الفضاء، والثانية تعبر عن القبة السماوية. إن المشهد الخارجي للمسجد المتمثل في القبة والمئذنة وكتلة البناء، هو المشهد الذي يسهم في تكوين فراغ المدينة، ويعزز هُويتها.

ومما سبق امكن تحديد المؤشرات المميزة التالية، والتي سيتم تحليل المشروع المنتخب على أساسها، لتحديد الخصائص الانسانية في العمارة العربية الاسلامية . وكانت المؤشرات المستخلصة هي:

1- المقياس الانساني في التشكيل المعماري . 2- التكامل والوسطية . 3- الوحدة والتنوع

4- التحصين والانفتاح نحو الداخل . 5- البساطة في المظهر والإغناء في الجوهر.

6- المحورية والتدرج الفضائي

4-3 العينة البحثية ؛ مشروع جامعة كربلاء 2002

اعتمد المصمم على خلفية فلسفية مستمدة من الموروث المعماري العربي الاسلامي بما يقترب كثيرا من المؤشرات الانسانية المميزة لتلك العمارة ، فأن فكرة المخطط الأساسي للمشروع استند على مراجع ذات خصائص تشكيلية ومؤشرات مميزة، بالتقاط فكرة المحاكاة والمماثلة لهيكل النسيج الحضري للمدينة كربلاء المقدسة باعتبارها ضرورية لبناء لغة معمارية عميقة تواصلية تعتمد ؛ المقياس الانساني في التشكيل المعماري، التكامل والوسطية ، الوحدة والتنوع ، التحصين والانفتاح

نحو الداخل، البساطة في المظهر والإغناء في الجوهر، التدرج الفضائي . فالتكوين التكاملي للمدينة مميز بين المدن الإسلامية بالحرمين الشريفين المرتبطين بالمحور .

المخطط الأساسي لمشروع جامعة كربلاء

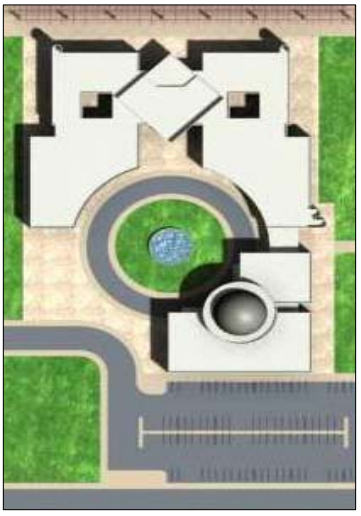

مبنى رئاسة الجامعة

مبنى كلية العلوم

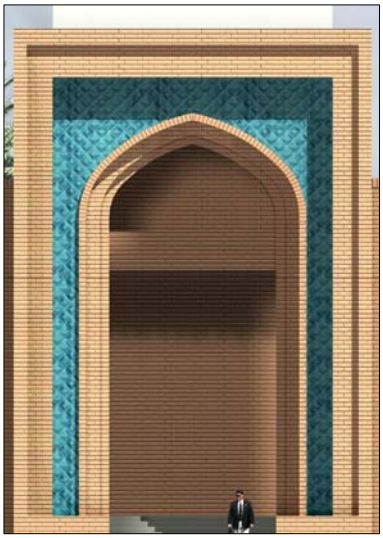

عنصر بوابة

الواجهة الامامية لمبنى كلية العلوم

لعل هذا الفعل المعماري هو احد تلك المحاولات الجادة لتحقيق متطلبات الحاجة باستثمار المؤشرات الانسانية للعمارة العربية الاسلامية من خلال التكامل بين بنية المدينة مع البنية التاريخية والإجتماعية للمكان فالبناء التجميعي للمكعبات، وتدريجها وتداخلها تضفي عليه نوعاً من التواضع الانساني والمرونة والإتصال البصري بين التنظيم الفضائي ومحاور الحركة والانسيابية تخلق فضاءات عامة وشبه عامة ، لتدعو بذلك الى أنسنة المكان .

4- الإستنتاجات والتوصيات

4-1 الاستنتاجات

1. يمكن تجاوز سلبيات العمارة المعاصرة في العودة بالعمارة العربية الاسلامية وتقديمها بنهج جديد وذلك بابداع عمارة حديثة ذات خصوصية عربية إسلامية تحقق متطلبات الحاجة وتعتمد الموروث كمرجع تاريخي لها تستمد منه عناصر التصميم بما لا يعني التدحرج نحو قعر التاريخ والتقوقع فيه ولا تعني الهرولة واللهاث خلف سراب التقنية ووهم الإبداع ولكن الوقوف عند نقطة مسموح بها لتحقيق التوازن بينهما .
2. ضرورة متابعة وادراج المتغيرات الثقافية والفكرية ضمن الاعتبارات الإنسانية لصياغة النتاج المعماري من الناحية الوظيفية والتشكيلية لتحقيق متطلبات الحاجة ضمن الاطر التنظيرية الاساسية، وايجاد حلول جديدة ذات كفاءة عليا في تلبية متطلبات الانسان العربي المسلم وتحقيق خصوصيته التي تميزه عن سواه .
3. أهمية تحديث ومراجعة " المعايير والاعتبارات الإنسانية " اللازمة لصياغة عناصر التصميم الوظيفية والتعبيرية زمنيا ومكانيا بهدف استيفاء مردود متغيرات الواقع الثقافي والتقني، وماقد يترتب عليهما من دلائل لتغيرات اجتماعية من الواجب مراعاتها عند الصياغة التعبيرية لعناصرالتصميم الوظيفية ، على ان تكون " الصياغة المرنة للمحتوى الوظيفي والتعبيري " أهم أولويات استيفاء معطيات الواقع المكاني والزمني " دائمة التغير " .
4. يُعد اعتماد المقياس الانساني من ابرز العوامل المؤثرة على العلاقة التبادلية بين النتاج المعماري من الناحية الوظيفية والتعبيرية والبيئة العمرانية ، وذلك من خلال تفعيل القيم الانسانية والثقافة المتاحة عبر متغيرات المكان ومعطيات الواقع الزمني بما يتيح للنظريات المعمارية أن تكون أقرب الى الواقع منه الى المثالية .
5. امكانية استثمار التكامل والوسطية كفعل انساني من خلال إعتماد علاقات شكلية تامة ومستقرة وعدم الإسراف والتفريط في الفضاءات ظهر أثره على بنية العمارة العربية الإسلامية المعاصرة، والتناغم الشكلي مع الطبيعة والأبعاد المكانية ودوره في صياغة بنية معمارية انسانية يحكمها التوازن بين النسق الحاجات والإنشطة الفكرية .
6. على الرغم من التنوع الكبير في مميزات العمارة الاسلامية من حيث الموقع والمناخ والتربة إلا أن التنوع في التشكيل الفضائي يدل بصورة رمزية على تأثير قوة باطنية واحدة تتحكم في تنظيم فضاءات تلك العمارة، تتبع هذه القوة الفضائية من المحددات السلوكية للفرد والجماعة التي بثها القانون الإلهي .
7. اعتماد مجموعة الخصائص الشكلية التي ترتبط بها الأنماط المختلفة للعمارة الإسلامية والتي تتفق معظمها على : - التناظر و المحورية Symmetry .
   - الوحدة Unity كخاصية مميزة للعمارة الإسلامية .
   - التدرج (التقدم) Hierarchy Progression .
   - التكرار Repetition .
   - خصائص أخرى تستعمل لتمثيل بعض الرموز (Symbols).

   وان تحديد خصائص العمارة أو قواعد التشكيل(Rules of Composition) لا يتم من خلال دراستها بشكل مجرد ، وبمعزل عن المحتوى وإنما من خلال دراسة التطور النوعي لعناصرها(Typology) والتطور الفكري(Morphology)، فهذا المنهج يوفر أفكار جديدة في التصميم .

4-2 التوصيات

- إعتماد المؤشرات الانسانية في العمارة العربية الاسلامية كإستراتيجية خلق للنتاج المعماري المتميز على المستويين الفكري والتطبيقي .

– ضرورة اعادة النظر في تصميم البيئة المعمارية وخصوصا السكنية بما يتوائم ومتطلبات المجتمع واحتياجاته وقيمه مع تهيئة لجان بحثية لتقييم واقع حال المشاريع العامة المنجزة والمشغولة بعد عام واحد في الاقل لتفادي الجوانب غير المرغوب فيها .

– ضرورة اشراك المستفيد في العملية التصميمية وضمن حدود معينة بتوفير تصميم مرن يتجاوب مع متطلبات الحاجة المتغيرة

– ضرورة استثمار متطلبات الحاجة الاساسية وإعتمادها كأحد معايير التقييم للمسابقات المعمارية، وأحد عناصر النقد للمشاريع المختلفة وصولاً لخلق تفاعل بين الواقع والتنظير

المصادر والمراجع

[1]- **Allen**, Edward " ***How Buildings Work ; The Natural Order of Architecture*** " Oxford University, 3rd. Edition, **2005** , p : 23-23

[2]- **Broadbent**, Geoffrey ,**"*Design in Architecture: Architecture and the Human sciences*"**, Joho Wiley & Sons Ltd. Publication, England, **1973**. P142--147

[3] – **عمر**، ماهر محمد " **سايكولوجية العلاقات الاجتماعية** "، دار المعرفة الجامعة، مصر،ص32، **1988**

[4] – **زهران**، حامد عبد السلام" **علم النفس الاجتماعي**"، عالم الكتب، القاهرة ، ص 65، **1984**

[5] – **المعموري**، عبد الله " **دراسة تحليلية للتقنيات البنائية في الدور السكنية**"رسالة ماجستير ، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية،ص8، **1990**

[6] – نفس المصدر السابق " **المعموري**، **1990** "،ص 11–14 .

[7]-***http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=7417***

[8]- ***http://www.uiah.fi/metodi/13k.htm*** .

[9] – **المعموري**، عبد الله سعدون " **الوظيفة الأخلاقية للعمارة** "إطروحة دكتوراه ، الجامعة التكنولوجية ، قسم الهندسة المعمارية، بغداد ، ص 27 ، **2008**

[10] – **العتابي**، مهدي صالح الفرج " **الآصالة في العمارة المعاصرة** "إطروحة دكتوراه، قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية، بغداد، ص 24، **2006**

[11] – **يازجي** ، ندوة " **مدخل إلى المبدأ الكلي** "دار الغربال، دمشق، ص66 ، **1984** .

[12] – **ابراهيم**، عبد الباقي"**المنظور الاسلامي للنظرية المعمارية**" مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، ص 36، **1986**.

[13] – مصدر سابق " **المعموري**، **2008** " ص 37 .

[14] – **الحاجم**، مازن احمد " **اثر البيئة الحضرية في الإحساس بالمكان** "رسالة ماجستيرغير منشورة ، قسم الهندسةالمعمارية، جامعة بغداد، ص 76، **1993**.

[15] – **الجادرجي**، رفعة " **العمارة والحاجة إلى تنظير بنيوي** " ، سلسلة عالم الفكر، المجلد 27 ، ع2 ، ، الكويت، ص 12–14 ، **1998**.

[16] – **عكاش** ،سامر " **تنظير العمارة وتجربة الحياة اليومية** " ، مجلة المستقبل العربي، العدد 248، ص 104–105 ، 10/ **1999**.

[17] – **فنتوري** ، روبرت " **التعقيد والتناقض في العمارة**" ، ترجمة سعاد عبد علي مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد **1987**، ص 30

[18] – **الجادرجي** ، رفعت " **إشكالية العمارة والتنظير البنيوي**" ، عالم الفكر، المجلد27 العدد2 ، أكتوبر – ديسمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988 ، ص 13 .

[19] – **المقرم** ، اسماء ""**النظام في العمارة الإسلامية** " رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد ، 1996 ص 11– 14 .

[20] - **ابو القاسم**، رمضان الطاهر ، " **البعد الانساني في العمارة** " ، موقع الميراث ،
http://mirathlibya.blogspot.com/2008/11/blog-post_08.html